

واقع الاختلاف ومظاهر الاضطهاد والعنف في المجتمعات المتعددة

The Dynamics of Diversity and the Manifestations of Oppression and Violence in Multicultural Societies

نادية بانوح *

(1) جامعة البليدة 2، الجزائر، n.banouh@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/08؛ تاريخ القبول: 2025/11/07؛ تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص:

تهدف هذه الدراسة لمحاولة تحليل مفهوم الاختلاف الذي أصبح واقعا يفرض نفسه على المجتمعات المتعددة، وما يترتب عنه من صراعات ونزاعات يمكن أن تصل إلى القتل والإبادة الجماعية. وذلك بالإفادة من الأطروحات والنظريات الفلسفية المعاصرة خاصة تلك التي تهتم بمثل هذه القضايا المتعلقة بالتنوع الثقافي، الاختلاف، العدالة... الخ وتحديدًا عند كل من مارثا نوسباوم وإيريس ماريون يونج.

تطرقنا فيها لمفهوم الاختلاف بشكل عام، ثم الاختلاف بين المجموعات الثقافية، الذي يقتضي الاعتراف السياسي به من أجل تحقيق العدالة، نظرا لما يترتب عنه من قمع واضطهاد للأقليات.

كلمات مفتاحية: الاختلاف؛ التعدد الثقافي؛ الهوية؛ القمع؛ الظلم الاجتماعي؛ العدالة؛ الاعتراف.

Abstract:

This study aims to elaborate on the concept of difference, which has become a reality imposing itself in diverse societies, along with its consequences that may escalate into conflicts and disputes resulting in killing and genocide crimes.

This is explored through the contributions of the contemporary theses and philosophical theories, especially those addressing issues related to multiculturalism, difference, justice,...etc., and more specifically in the works of Martha Nussbaum and Iris Marion Young. In this study, we tackled the concept of difference in general, and then we addressed difference among cultural groups, which requires its political recognition so as to achieve justice owing to the oppression and persecution faced by these groups and minorities.

Keywords: Difference ; multiculturalism; identity; oppression; social injustice; justice; recognition.

مقدمة:

يعتبر مفهوم الاختلاف من بين المفاهيم التي برزت في الفكر الأخلاقي والسياسي في عالمنا المعاصر خاصة في ظل العولمة الثقافية التي أسست لتاريخ عولمي جديد، تحولت معها الأفكار، والقيم، والنظم، وأضعفت معها القوميات، وتزعزت الهويات والثقافات الوطنية بادعاء وهي غرضه صياغة ثقافة عالمية تنضوي تحتها كل الثقافات، هذا الادعاء صاحبه محاولة الغرب فرض نموذج على أنه النموذج الأمثل المتفرد، من خلال العمل على تسويقه عالميا.

بذلك تلاشت الخصوصيات الثقافية للهويات المحلية التي لم يعد أمامها من خيار، فإما الاندماج والانصهار التدريجي فيها، وإما الانغلاق والعزلة وهو ما يعني موتها تدريجيا، وفي كلتا الحالتين يهددها خطر الزوال، لذا سارعت هذه الهويات إلى إحياء ثقافتها والمحافظة عليها بالدفاع عنها والمطالبة بالاعتراف بها، خاصة وأن الخطر لم يعد محصورا بين الدول، بل امتد إلى أعماق هذه المجتمعات التي تتمتع بالاختلاف والتعدد بجميع أشكاله (ديني، لغوي، عرقي، جنسي، تاريخي...إلخ).

إن الاختلاف بين المجموعات الاجتماعية المتميزة، بدلا من أن يكون ثراء لها وللبشرية جمعاء، أصبح العكس مصدرا للصراع والنزاع بينها، حيث تمخض عنه تصدعات وانقسامات داخل المجتمع الواحد، غالبا ما تنتهي بالعنف والقمع خاصة عندما تحاول الأغلبية السائدة اتخاذ السلطة أداة بيدها لفرض هويتها وثقافتها على الأقليات (سواء كانوا أصليين أو مهاجرين) وهذا ما أكدّه العديد من الفلاسفة المعاصرين أمثال أمارتيا صن،

كيمليكا، مارثا نوسباوم، إيريس ماريون يونغ وغيرهم.

هذا الوضع دفع هذه الأقليات التي تعاني من هذا التطرف والتمييز إلى المطالبة بحقها في الاعتراف السياسي بهويتها وثقافتها ما دام الجميع يتمتع بالقدر نفسه من الحرية والمساواة في ظل مجتمع يدعي الديمقراطية واحترام مبادئ حقوق الإنسان.

والإشكال المطروح هو: ما دام الكل يتمتع بهذه الحقوق بقدر متساو وعادل فما الحاجة للاعتراف السياسي بهذا الاختلاف؟ ما المقصود به؟ كيف أصبح مبرراً لقمع واضطهاد أفراد المجتمع الواحد؟ وما السبيل أمام الدول لاستيعابه والخروج من هذه الأزمات الناجمة عنه؟

في مفهوم الاختلاف: يعتبر الاختلاف من بين المفاهيم التي شاع تداولها في الفلسفة السياسية المعاصرة وذلك في ظل احتدام النقاش بين المفكرين والباحثين، حول القضايا المرتبطة به كالتعدد الثقافي، الاعتراف، الهوية، والعدالة... إلخ.

يعرفه لالاند بأنه: "التباين" ... -التمييز بين الأشياء المتباينة عددياً، أي التي لا تختلف بأية سمة ذاتية بل تتباين فقط من حيث الكثرة، -الأشياء المتباينة نوعياً أي التي تختلف بجوهرها ذاته، ... -سمة تميز نوعاً عن أنواع أخرى من جنس واحد ...-أما لدى المحديثين كل ميزة تميز مفهوماً عن آخر أو شيئاً من شيء آخر"⁽¹⁾.

يقودنا هذا التعريف إلى نقطتين أساسيتين، الأولى أن الاختلاف يقصد به التمييز بين شيئين يشتركان من حيث الماهية أو الجوهر لكنهما يختلفان من حيث الكثرة والعدد، كأن نقول: إنسان فهو مفهوم يدل على وجود ماهية مشتركة بين جميع البشر (كالعقل مثلاً)، لكنهم يختلفون في صفاتهم العرضية أو الظاهرة (كاللون، القامة، الجنس... إلخ)، أما النقطة الثانية فتتعلق بالاختلاف من حيث النوع مثل المقارنة بين الإنسان والحيوان.

إن كان البشر كلهم يشتركون في هوية واحدة هي الإنسانية، فإنهم يختلفون في المكونات التي تقوم عليها كل هوية من قبيل الدين، والعرق، واللغة... وغيرها، بل قد يشتركون في هذه المكونات كلها لكنهم يختلفون في صفات أو سمات أكثر تخصيصاً

(1) - أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، تر: أحمد خليل، (بيروت، منشورات عويدات، 2001)، ط2، ص282.

كالإعاقة، الجنس، واللون... إلخ، فهناك من يدرج حتى هذه الفئات المعوقين والنساء والسود والمثليين، ضمن الاستخدام الواسع "لمفهوم التعدد الثقافي"، باعتبارها هي الأخرى تطالب بحقوقها في الاعتراف جراء ما تعانيه من حرمان وتهميش من طرف الأغلبية المسيطرة في المجتمع.

تشكل هوية هؤلاء الأفراد من خلال الجماعات التي ينتمون إليها، فلكل جماعة كيان ثقافي مستقل (خبراتها، خياراتها، أهدافها، تاريخها... إلخ) عن الكيانات الثقافية الأخرى يبرز من خلال التواصل والتفاعل فيما بينها، فتخلق بذلك تنوعاً ثقافياً في المجتمع الواحد.

معنى ذلك أن مفهوم الاختلاف يحيلنا إلى ضرورة وجود كثرة وتنوع كي تتم المقارنة بين المجموعات غير المتجانسة من جهة وإلى مفهوم الغيرية من جهة ثانية والتي تعني: "صفة ما هو غير" وتقابل الهوية، وأن الذي يقابل الواحد من جهة ما هو "هو" هي الغيرية⁽²⁾.

ولا يمكن إدراك الذات لذاتها وهويتها المستقلة إلا بإدراكها لغيرها من الذات، ما يعني أن هذا الاختلاف الذي جبلت عليه الذات ضروري وإيجابي لوعي الذات لذاتها، وتمييزها عن الآخرين.

مظاهر القمع والعنف في المجتمعات المتعددة:

تعددت العوامل أو الأسباب المؤدية للصراع والنزاع في المجتمعات الإنسانية، والتي رافقتها دائماً محاولات وسعي للتحرر والانعقاد، بسبب ظلم واضطهاد الفئات الضعيفة والمغلوبة على أمرها. ومن بين هذه العوامل العامل الثقافي خاصة في عصرنا هذا مع المطالبة المستمرة للأقليات بحقوقها في الاعتراف السياسي بهويتها، نتيجة ما تتعرض له من قمع وعنف من طرف بعض المتطرفين والمتعصبين يصل أحياناً إلى حد الإبادة الجماعية.

وكما يقول "أمارتيا صن" Amartya Sen: "إن وهم الهوية المنفردة الذي يخدم أهداف العنف لأولئك الذي يرسمون ويديرون تلك المواجهات، يزرع ويُتبعدهم بمهارة على يد قادة الاضطهاد والمذابح، وليس من الغريب أن توليهم الهوية المنفردة القابل للاستغلال لأغراض المواجهة يمكن أن يعجب أولئك الذين يستفيدون من إثارة العنف"⁽³⁾ والحروب

(2) - إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، (القاهرة، الهيئة العامة للشؤون الأميرية، 1983)، ص 134.

(3) - أمارتيا صن: الهوية والعنف. المصير الحتمي، تر: سحر توفيق، (الكويت، دار المعرفة، 2008)، ص 175.

الطائفية، العرقية، والقومية... إلخ

إن ثقافة التمرکز حول الذات والاعتزاز بها على حساب طمس هوية الآخرين وتشويهها، خلق تلك الهوية بين هذه الذات والآخر، فانتفى معها الحوار والتفاهم، فأصبح كل طرف يجابه الآخر ويحاربه حتى وإن كان ذلك بنشر الأكاذيب والأقوال الزائفة عنه، بغية تحريض الآخرين ضده بل ويمتد الأمر إلى أبعد من ذلك أحياناً، حيث يؤدي هذا القمع والعنف الذي يتعرض له هؤلاء الأشخاص إلى النظر بالدونية والنقص للمجموعة التي ينتمون إليها وبالتالي عدم تقديرها واحتقارها، لأنها في نظرهم أقل منزلة من المجموعات الأخرى، وهو بالتأكيد ما ينعكس سلباً على ذواتهم، فيفقدون الثقة في أنفسهم، ويتحول كل ذلك إلى بغض وضغينة للآخرين تنتهي بالعنف.

وقد اختلف الباحثون والمفكرون حول الأسباب التي تدفع الأفراد إلى العدوانية ضد الآخر، خاصة أن أغلب المجتمعات الإنسانية كما تعتقد "مارثا نوسباوم" (Martha Nussbaum) (1947) لا تخلو من هذه الفئات المهمشة والمقصاة التي يتم وصمها بأبشع الصفات والنظر إليها باحتقار. لكن ما الذي يجعل هذه المجتمعات الليبرالية المبنية على الحرية والمساواة ساحة للمشاحنات والخلافات بين هذه الجماعات الثقافية، تصل إلى حد العنف؟

تري "نوسباوم" أن هذا الوضع المزري الذي تمر به المجتمعات التي تتسم بالتعدد والاختلاف لم يظهر من العدم، وإنما هو راجع بالدرجة الأولى لذلك التصنيف والتمييز غير المنطقي بين "الأنا" الخيرة، الطيبة، و"الآخر" الشرير، السيء، فكما "يُقال لنا نحن الأمريكيين أحياناً بأن الشر يقع في غالبته خارجنا، لاحظوا البناء الخطابي لمحور الشر الذي يهدد أمتنا الطيبة. يجد الناس راحة في تصور أنفسهم مرتبطين بـ"صراع الحضارات" مهول حيث الأمم الديمقراطية الجيدة تحرض ضد ما يزعم بأنها ديانات وثقافات سيئة لأجزاء أخرى من العالم، غالباً ما تغذي الثقافة الشعبية على هذه الرؤية للعالم" (4).

*مارثا كرافن نوسباوم Martha Craven Nussbaum فيلسوفة أمريكية، من مواليد 1947، متحصلة على درجة دكتوراه في الفلسفة سنة 1975، شغلت عدة مناصب منها أستاذ للفلسفة والكلاسيكيات في جامعة هارفارد، ثم انتقلت إلى جامعة شيكاغو "اهتمت بالفلسفة السياسية واليونانية وحتى الفلسفة الرومانية القديمة.

أهم مؤلفاتها: هشاشة الخير (1986)، تعزيز الإنسانية (1997)، الجنس والعدالة (1998)، حدود العدالة (2006).

(4) - مارثا نوسباوم: ليس للريح، لماذا تحتاج الديمقراطية إلى الإنسانيات، تر: فاطمة الشملان (بيروت، جداول

هذه النظرة للآخر على أنه عدو يترصد بهم ويسعى إلى تدميرهم كلما أتحت له الفرصة، نظرة عدائية ترسخ في نفوسهم الحقد والغل، وهذا ما ذهب إليه أيضا "أمارتيا صن" مؤكدا أنه مع "التحريض المناسب، يمكن أن يتحول وعي متعمق منذ النشأة لهوية مشتركة مع جماعة من الناس إلى سلاح قوي يوجهه بوحشية ضد جماعة أخرى"⁽⁵⁾.

تعتقد نوسباوم أن مثل هذه الأفكار المملوءة بخطاب البغض والكراهية للآخر ينشأ عليها الأطفال في هذه المجتمعات فتؤثر على نفسياتهم، وذلك من خلال محيطهم (الاجتماعي، السياسي، الثقافي... إلخ) بوساطة الوالدين والأقربين في السنوات المبكرة من أعمارهم، ثم تكمل المدرسة هذه المهمة في السنوات اللاحقة، من خلال ما تسميه بالقرف الاسقاطي " إذ يتعلم الأطفال من مجتمع الناضجين حولهم، والذي عادة يوجه هذا القرف الاسقاطي إلى واحدة أو أكثر الفئات الواقعية الخاضعة -الأفارقة الأمريكيين، النساء، المثليين، الفقراء، الطبقات الدنيا...- في الواقع توظف هذه الفئات كالحیوان "الآخر" بإقصاء ما تُعرّف به المجموعة المميزة نفسها كرفيعة وحتى سامية"⁽⁶⁾. والمقصود بالقرف الاسقاطي هو عدم تقبل الذات وانكارها لما يشوبها من عجز، أو نقص أو ضعف، فتوصم به غيرها من المقصيين والمهمشين اجتماعيا.

إن تأثير مثل هذه التربية على الأطفال في سن مبكرة هي التي تحولهم عندما يكبرون إلى حاقدين تتملكهم رغبة جامحة للهيمنة والسيطرة على الآخرين المختلفين عنهم، فيتخذونهم أداة لتلبية حاجاتهم وتحقيق طموحاتهم، وحتى تلك القصص التي يتم سردها على مسامعهم قصد تسليةهم وتنمية مهارتهم الذهنية غالبا ما يتم فيها تصوير العالم على أنه صراع بين الأخيار والأشرار ولن يسوده السلام إلا بالقضاء على هؤلاء الأشرار، وغيرها من الأساليب الاقصائية التي تؤثر على نموهم النفسي.

كيف لأفراد يعيشون معا في مجتمع ديمقراطي ليبرالي بصفتهم مواطنين يتمتعون بنفس الحقوق، بغض النظر عن المجموعة التي ينتمون إليها، وإذا بالأغلبية السائدة تحاول فرض سيطرتها ووسطوتها على الأقليات وتشويهها "فتفريع العالم إلى "نقي"

للنشر والتوزيع، 2016)، ص52.

(5) - أمارتيا صن، مرجع سابق، ص11.

(6) - مارثا نوسباوم، المرجع نفسه، ص58.

و"مشوب" البناء لـ"نحن" الذين بلا صدع وهم القذرين، الأشرار والنجسين يظهر الكثير من التفكير السيء بخصوص السياسات العالمية أثاراً لهذه المرضية"⁽⁷⁾، أي مرضية القرف الاسقاطي، كما أن "الأحكام المسبقة ينزع إلى أخرنة الجماعات البشرية المختلفة عن الذات فيجعل منها خصوصاً في حالة الصراع -الآخر المقابل للذات - ونقيضها... وهذا ما استغلته وتستغله نخب سياسية تحت شعارات حماية الجماعة أو الشعب أو الوطن أو الدين أو التقاليد ، وعبر إثارة المخاوف من الآخرين المختلفين عنا سواء كانوا حركات تحريرية داخلية أو جماعات أقلية أو مهاجرة"⁽⁸⁾.

وبينما تركز نوسباوم على الجانب النفسي في التنمية البشرية والدور الهام للتربية والتعليم وتأثيرهما على تنمية مثل هذه المشاعر السلبية اتجاه الآخر إذ تجعل منه فرداً ينظر لنفسه باستعلاء وللآخرين بدونية وازدراء، فتنتطع في ذاته حب الهيمنة والسيطرة، تتصور إيريس ماريون يونغ* Iris Marion Young (1949-2006) في نفس السياق أن هؤلاء الأفراد الذين يحملون مثل هذه الأفكار السلبية عن الآخر، إنما هو "وليد الممارسات المنهجية التي تتبعها المؤسسات القائمة لمنع بعض الأفراد من التعلم واستخدام مهاراتهم وتنمية قدراتهم على نطاق واسع في المجال العام، إذا تحد من تواصلهم وتفاعلهم مع الآخرين، كما تقيد حريتهم في التعبير عن أفكارهم وآرائهم"⁽⁹⁾، وتتجلى هذه الممارسات خاصة في القوانين، الأعراف الاجتماعية، والسياسات المتبعة ضد مجموعات معينة.

المجموعة بالنسبة "ليونغ" ليست مجرد تجمع بشري للأفراد كالقطيع يشتركون في بعض الصفات، بل هي مجموعة من الأفراد تربطهم علاقات فيما بينهم، يشتركون

(7) - مارثا نوسباوم ، مرجع سابق، ص60.

(8) - أمارتيا صن: الهوية والعنف، ص19.

* إيريس ماريون يونغ Iris Marion Young (1949-2006) فيلسوفة ومنظرة سياسية أمريكية متحصلة على درجة دكتوراه في الفلسفة سنة 1974، شغلت عدة مناصب منها أستاذة للفلسفة والعلوم السياسية في العديد من الجامعات (بيتسبيرغ، ميامي، شيكاغو...) ومعهد ورسستر، ركزت اهتمامها على القضايا المعاصرة كالدراسات الجندرية، العدالة، الديمقراطية، الاختلاف... إلخ، من أهم مؤلفاتها: العدالة وسياسات الاختلاف، الشمولية والديمقراطية...

(9) - Iris Marion Young : Justice and the politics of difference (United King dom, Princeton Press, 1990), P38.

في (اللغة، التاريخ، القيم، الأفكار، الخبرات، المعتقدات... إلخ) إنها الاحساس بالهوية المشتركة، التي تميزهم عن الآخرين، ولكنها غالبا ما تكون سببا لقمعهم واضطهادهم.

إن حالة القمع والاضطهاد السائدة في المجتمعات المتعددة يتجاوز تلك الصراعات والنزاعات الشخصية بين الأفراد مهما كانت دوافعها إلى هيمنة وسيطرة مجموعات تمتلك السلطة على باقي المجموعات الخاضعة لها، فتحرّمها حتى من أبسط حقوقها وتفرض عليها قيودا لتتحكم فيها.

ويتجلى هذا القمع الذي تعاني منه هذه المجموعات حسب يونج في "خمسة أوجه وهي: الاستغلال، التهميش، الاستضعاف، الإمبريالية الثقافية، العنف"⁽¹⁰⁾.

الاستغلال: وقد أشار إليه "ماركس" قبلا في نقده للنظام الرأسمالي من خلال استغلال الطبقة الرأسمالية لطبقة العمال حيث تستنزف جهدهم مقابل مبلغ زهيد بينما تحصل هي على فائض القيمة، فتزداد ثراء، بينما تزداد الأخرى فقرا وحرمانا ما ينفك يزداد.

غير إن الإشكال حسب "يونغ" ليس محصورا فقط في الاستغلال الاقتصادي، بل يمتد إلى محاولة هذه الطبقة وكل من هو في السلطة ترسيخه وتعميقه، بتسخير كل الوسائل للمحافظة على الوضع القائم لضمان استمراريتها وهيمنتها لتحقيق مصالحها، فتترسخ معها كل أشكال الظلم الاجتماعي، الجور والحرمان.

التهميش: إذ يؤدي هذا الاستغلال إلى التفاوت والتصنيفات غير المتكافئة في المجتمع،

فهناك أغلبية تتمتع بامتيازات وسلطة لا حدود لها وأقلية مهمشة، يتم اقصاؤها واستبعادها من المشاركة الفعالة في الحياة (الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، ... إلخ)، فتظهر بذلك أبشع صور الظلم الاجتماعي، والتمييز العنصري دون أي اعتبار لمبادئ حقوق الإنسان الأساسية.

(10) Liza Heldke and Peg O'conner : Oppression ; privilege, and resistance : theoretical perspectives on racism, sexism, and heterosexism ; Boston :Mc Graw-Hill ; 2004 ; p41.

قد يتضمن هذا التهميش الحرمان المادي (للعمال والفقراء والمعوّزين مثلاً) أو الاستبعاد الاجتماعي (للمسنين والمعوقين والنساء) أو كلاهما معاً، غير أن هذه الأغلبية المهيمنة إن كانت تمارس الإقصاء والتهميش على المجموعات الأخرى، فإنها تسعى لزرع روح التضامن والتكافل، والتآلف بين أعضائها.

الاستضعاف: بسبب هذا الاستغلال والتهميش تنظر هذه الأقليات إلى نفسها بدونية وبلا قيمة وهو ما يضع دائماً أفرادها في المراتب الدنيا مستضعفين، وعاجزين وغير قادرين على اتخاذ أية قرارات حتى تلك المتعلقة بشؤون حياتهم، ولا الانخراط في المجتمع، فينفذون الأوامر دون أي نقاش، خاضعين لمن فوقهم بصفتهن الأقوى والمهيمن (كالنساء مثلاً في المجتمعات الذكورية).

الامبريالية الثقافية: أو الهيمنة الثقافية وهي الوجه الرابع للقمع إذ "غالباً ما لا ترتبط المسائل المتعلقة بالظلم والجور بتوزيع الموارد أو الثروة وإنما في تشويه الصور والرموز الثقافية"⁽¹¹⁾، مثلاً غالباً ما يتم تقديم أو تصوير العرب في الأفلام الغربية على أنهم إرهابيون، والسود على أنهم مجرمون أو تجار مخدرات ... إلخ، فمن الصعب في هذه الحالة بل و"ربما تكون القيود صارمة خاصة في تحديد مدى قدرتنا على اقناع الآخرين على وجه الخصوص بأن ينظروا إلينا نظرة مختلفة عما يصرّون على أنه هو صورتنا"⁽¹²⁾، خاصة لما تكون ثقافة الأغلبية هي الثقافة السائدة فتجدها دائماً تسعى لطمس هوية الأقليات ذات الثقافات المغايرة، وتكبح حقها في التعبير عن ثقافتها في المجال العام بناءً على وجهة نظرها الزاعمة أن ثقافتها متفردة وعالمية، فتفرضها عليها قسراً، وأي محاولة لمخالفتها تعتبر انتهاكاً لوحدة الدولة فيتم قمعها واضطهادها.

بل إن هذه الدول كما يقول كيمليكا Will Kymlicka في سعيها لتحقيق "المثل الأعلى في السياسة المتجانسة، اتبعت...مجموعة متنوعة من السياسات المتعلقة بالأقليات الثقافية، حيث تم القضاء على بعضها جسدياً، إما عن طريق الطرد الجماعي (التطهير الإثني) أو الإبادة الجماعية...أو استيعاب أقليات أخرى قسراً، فأجبروا على اعتماد لغة ودين وعادات الأغلبية، وفي حالات أخرى يتم التعامل مع الأقليات على أساس أنهم أجنب

(11) -Iris Marion Young : Ibid, P20.

(12) - إمارتيان، المرجع السابق، ص 44.

مقيمون يخضعون للفصل المادي، التمييز الاقتصادي، والحرمان من الحقوق السياسية"⁽¹³⁾.

العنف: هو الوجه الخامس والأخير للقمع فهو نتيجة حتمية لما تم ذكره من استغلال، تهديد واستضعاف، وهيمنة ثقافية، وهو من أخطر مظاهره، إذ تتعرض له مجموعات معينة فقط لاختلافها.

تعتقد "يونغ" أن لبنية الأنظمة القائمة دور كبير في انتشاره واستمراره أيضاً، من خلال سياساتها وممارساتها التي تنتهجها ضد أفراد هذه الجماعات بصفة دورية ومنتظمة فتستخدم قوتها وسلطتها للحفاظ على الوضع الراهن فتلحق بهم أضراراً مادية، ومعنوية ونفسية.

إن البغض والكراهية اتجاه الآخرين يحدث اضطرابات وصراعات عنيفة تؤدي إلى القتل "ففي حالات كثيرة يمكن لشعور قوي ومطلق بانتماء يقتصر على جماعة واحدة أن يحمل معه إدراكاً لمسافة البعد والاختلاف عن الجماعات الأخرى فالتضامن الداخلي لجماعة ما يمكن أن يغذي التنافر بينها وبين الجماعات الأخرى... وأن التحريض على العنف يحدث بفرض هويات مفردة انعزالية وعدوانية يناصرها ويؤيدها محترفون بارعون على أناس بسطاء"⁽¹⁴⁾.

فالهوية إن كانت تمثل عاملاً قوياً للتآلف والتكافل والتضامن بين أعضاء الجماعة الواحدة، فإنها في الوقت ذاته عامل قوي للتفرقة والتنافر بينها وبين جماعات أخرى، لذلك غالباً ما يتحول هذا الصدام فيما بينها إلى صراع وعنف سياسي هو في أصله صراع عقائدي، أو طائفي أو عرقي.

تعتقد يونغ أن هذه الأوجه الخمسة للقمع لدليل قاطع على انتفاء العدالة في المجتمعات المتعددة، فتفشى فيها الظلم الاجتماعي بكل أشكاله.

-الحلول الممكنة للخروج من هذه الأزمات:

مما لا شك فيه أن الكل يتفق على أن للتنشئة الاجتماعية دور كبير في بناء مثل هذه الشخصية الأنانية، النرجسية وما من سبيل لتخليص الفرد منها واجتثاثها من

(13) - كيمليكا ويل، مواطنة الثقافات المتعددة، نظرية ليبرالية لحقوق الأقليات، تر: هيثم غالب الناهي، مرجعة: عدنان عيدات (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2020)، ط1، ص28.

(14) - إمارتيا صن: الهوية والعنف، مرجع سابق، ص18.

جذورها، إلا بإعادة النظر في الأساليب المعتمدة في تربية النشء وفي نظام التعليم والعمل على إصلاح كل هذا وهو ما تطمح إليه كل من "يونيغ" و"نوسباوم" إذ تعتقد هذه الأخيرة أن "سلوك الوصم يبدو رد فعل لقلق الشخص حول ضعفه وتعرضيته (رفضه)، فإنه لا يمكن إدارته دون معالجة ذلك القلق الأعظم"⁽¹⁵⁾، وبالطبع لا يمكن له أن يفعل ذلك بمفرده بل إن الدور الأهم والرئيسي لمحاربة هذا القلق الداخلي هو على مستوى الأسرة أولا ثم المدارس والجامعات والمجتمع الأكبر عموما.

فأول تفاعل في حياة الطفل يكون له مع أسرته وبالأخص والديه فهما من يعلمانه، يقومان سلوكه وينميان مهاراته، ما يعني أول خطوة للتربية الصحيحة هي أن يتعلم الطفل تقبل ذاته كيفما كانت بنقصها، ضعفها وعجزها كي يتخلص من هذا القرف الاسقاطي الذي يدفعه لرفض ذاته ومن ثم اسقاطه على الآخرين.

إن البشر بما فيهم من نقائص يكملون بعضهم البعض للتغلب على كل العوائق التي تواجههم، فالعلاقة بينهم هي علاقة تبادلية تكاملية تبنى على الاحترام والحب والتراحم....، "فتغرس فيه القدرة على رؤية العالم من خلال وجهة نظر مخلوق آخر"⁽¹⁶⁾ قد يختلف عنه لكنه أيضا يتمتع بنفس الحقوق.

لذا فمن غير اللائق أبدا النظر إليه كحيوان أو غرض من الأغراض أو اتخاذه وسيلة لتحقيق أهدافه، انطلاقا من مبدأ احترام كرامة الإنسان التي تنص عليها كل القوانين والدساتير، لذا يجب على المؤسسات خاصة المدارس والجامعات أن ترسخه في عقول طلبتها من خلال البرامج التعليمية بالتركيز خاصة على العلوم الإنسانية، التي تمكنه من الاطلاع على مختلف الثقافات وفهم المقومات التي تقوم عليها المجتمعات الأخرى (سياساتها، اقتصادها، ثقافتها، لغتها، تاريخها... إلخ).

كما تمكنه هذه العلوم حسب نوسباوم من التفكير النقدي والشجاعة الفكرية لرفض الظلم والتصدي له، فيتكون بذلك مواطنين مسؤولين، عالمين، وديمقراطيين، مستعدين للعيش معا رغم كل الاختلافات، إذن لابد من إعادة النظر في البرامج التعليمية

(15) - نوسباوم، مرجع سابق، ص 59.

(16) - نوسباوم، المرجع نفسه، ص 62

وكذلك إعادة بناء المؤسسات التي تنتج هذا القمع والاضطهاد باستمرار، بحيث تكون مهمتها الأولى الحفاظ على كرامة الإنسان، وتفسح له المجال كمواطن فعلي لا شكلي في هذا المجتمع للتعبير عن آرائه وأفكاره وتطوير مهاراته، بل والمطالبة بحقوقه دون أي شرط أو قيد بغض النظر عن المجموعة التي ينتمي إليها وبهذا فقط تتحقق العدالة.

تعارض يونغ تلك النظرة الضيقة للعدالة على أنها التوزيع العادل فقط للثروات والخيرات (راولز)، فغالبا ما لا ترتبط المسائل المتعلقة بالظلم والجور بالتوزيع المتساوي لهذه الموارد المادية فقط بل بما هو غير مادي أيضا، لذا ينبغي العمل على تحقيقها معا أي التوفيق بين التوزيع المتساوي لهذه الموارد المادية من جهة وضمان المشاركة الفعالة لكل المواطنين في مختلف المجالات (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية... إلخ)، بل إن تحقيق المطلب الثاني يضمن تحقيق المطلب الأول إذا "ينبغي أن نضع في الحسبان عند تطرقنا لمفهوم العدالة عنصري الهيمنة والقمع بالدرجة الأولى على مفهوم التوزيع"⁽¹⁷⁾.

وبهذا فقط يمكننا أن نحول هذا الاختلاف من مصدر للقمع والعنف إلى مصدر للثراء الاجتماعي والسياسي، فالعدالة الاجتماعية تعني "القضاء على الهيمنة والقمع المؤسسي، وأي جانب من جوانب التنظيم والممارسة الاجتماعية المتعلقة بالسيطرة والهيمنة والاضطهاد"⁽¹⁸⁾.

فالمجتمع الليبرالي العادل هو الذي يعترف بهذه الاختلافات فيضمن لكل مواطنيه حقوقهم في المساهمة والمشاركة الفعالة في المجال العام، أما "عدم الاعتراف أو الاعتراف غير المناسب والناقص، أو المشوه، فإنه يمكن أن يسبب ضررا، وأن يمثل شكلا من أشكال القمع"⁽¹⁹⁾ كما ذهب إلى ذلك فيلسوف الاعتراف تشارلز تايلور.

"فسياسة الاعتراف تتطلب مجتمعا غير متجانس، يعترف بالاختلاف ويحترمه ويقدره، وهنا نكون إزاء نوع من "المواطنة القائمة على مراعاة الاختلاف بين الأفراد"⁽²⁰⁾، لا تجاوزه أو

(17) -Iris Marion Young : Politic de difference audjustice, P26.

(18) -Ibid, P15.

(19) Charles Taylor : multiculturalisme ; différence et démocratie ; tra :Denis-Armand canal ; flammariion ; p24

(20) -حمدي عبد الحميد محمد الشريف: التصور البنوي للقه في فلسفة ايريس ماريون ينج السياسية، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية (السنة 32، العدد32)، 2022، ص 292

إلغاءه باسم المواطنة العالمية التي تقوم على فرض التسلط والتماثل بينهم، وإلا سيستمر الوضع على حاله مليئا بمشاحنات تنتهي بالعنف.

الخاتمة:

يبدو من خلال كل ما سبق أن إشكالية القمع والعنف الذي تعاني منه المجتمعات المتعددة وليد عدة أسباب وكلها ناتجة عن المؤسسات التي يقوم عليها المجتمع بدءا من المؤسسة الصغيرة فيه التي هي الأسرة التي ينشأ فيها الفرد إلى المؤسسات الكبرى (السياسة، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية... الخ) التي تنظم علاقات هؤلاء الأفراد وتسير أمورهم، ما يعني أن لهذه المؤسسات الدور البارز إما في خلق مجتمع تتعايش فيه مختلف الأطراف أو المجموعات التي يتألف منها في وئام وتفاهم واحترام أو العكس، وكل ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا بتقبل الآخر باختلافه وتميزه، و أن نتجاوز التمرکز حول الذات والتصنيفات العنصرية القائمة على الدين أو العرق أو الجنس أو اللغة ، باسم انسانيتنا المشتركة فتقوى روابطنا شرط أن نكون هذه المواطن على هذه القيم والأخلاق التي تمكنه من تقبل الآخر فأكبر تحدي يواجه الأفراد اليوم خاصة في المجتمعات الليبرالية هو تنامي ظاهرة الفردانية التي تقوض روح التضامن وتعمق الشرخ بين أفراد الجماعة الواحدة وليس فقط مع أفراد الجماعات الأخرى .

حتى تحافظ هذه الدول المتعددة على استقرارها عليها أن تضمن لجميع المواطنين مواطنة فعلية لا شكلية فقط فتمنحه الحق الكامل في ممارسة حقوقه دون أي عوائق أو مضايقات مهما كانت صفتها أو مصدرها، وذلك بإعادة بناء المؤسسات القائمة التي بإمكانها ان تحقق للجميع، الحرية، المساواة، العدالة بدلا من القمع والاضطهاد، أو تجاهل متطلبات واحتياجات مختلف الجماعات أو الأقليات.

فما معنى مبدأ الحرية إذا كان الفرد مضطرا لتبني ثقافة وهوية الأغلبية، لا لشيء إلا لأنها بيدها السلطة، وما معنى مبدأ المساواة في الحقوق بينما يملك البعض الحق في التعبير عن أفكاره وآرائه دون قيود بينما تحرم جماعات أخرى من ذلك بسبب اختلافها،

إن سياسة الاختلاف تعني القضاء على العنف والقمع في المجتمعات المتعددة، وذلك بالإقرار بخصوصية ثقافة كل مجموعة وتمايزها واحترامها وتقديرها، لا تجاوزها أو

تجاهلها باسم المساواة في الحقوق، حتى تتحقق الديمقراطية التي تضمن لجميع مواطنيها العدالة والحرية والمساواة.

قائمة المصادر والمراجع

بالعربية:

الكتب:

1. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، (القاهرة، الهيئة العامة للشؤون الأميرية، 1983)، د.ط.
2. أمارتيا صن: الهوية والعنف. المصير الحتمي، تر: سحر توفيق، (الكويت، دار المعرفة، 2008)، د.ط.
3. أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، تر: أحمد خليل، (بيروت، منشورات عويدات، 2001)، ط2.
4. كيمليكا ويل، مواطنة الثقافات المتعددة، نظرية ليبرالية لحقوق الأقليات، تر: هيثم غالب الناهي، مرجعة: عدنان عيدات (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2020)، ط1
5. مارثا نوسباوم: ليس للربح، لماذا تحتاج الديمقراطية إلى الإنسانية، تر: فاطمة الشملان (بيروت، جداول للنشر والتوزيع، 2016)، د.ط.

المجلات:

1. حمدي عبد الحميد محمد الشريف: التصور البنيوي للقهر في فلسفة إيريس ماريون ينج السياسية، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، (السنة 32، العدد 32) 2022.

بالفرنسية:

1. Chales taylor: multiculturalisme ; Diffèrence et démocratie; tra: Denis-Armand; flammarion.1994
2. Iris Marion Young : Justice and the politics of difference ;United King dom, Princeton Press, 1990 .
3. Lisa M. Heldke,Peg O'Connor,Oppression, privilege, and resistance : theoretical perspectives on racism, sexism, and heterosexism, Boston : McGraw-Hill, 2004